07/10/2020

القديسة تقلا: رمز للعفة والزهد والمثابرة



مقال ل: هبه هريمات

هي قديسة معروفة على نطاق واسع، وتحظى بنفس القدر من الاحترام والتقدير بين كنائس العالم المختلفة بما فيها الارثوذكسية والكاثوليكية والقبطية. القديسة تقلا التي نكرمها اليوم (24 سبتمبر/7 أكتوبر) هي رسولة وشهيدة بين النساء ومعادلة للرسل في القداسة.

بطريركية الروم الأرثوذكس في القدس، على وجه التحديد، تعطي قدرا كبيرا للقديسة تقلا التي يحتفى بعيدها داخل كنيسة قد تكون صغيرة انما جميلة مخصصة لها داخل الدير الرئيسي في البطريركية. وعادة ما يقود غبطة البطريرك ثيوفيلوس الثالث القداس في كل عام، حيث يصر على حضوره قدر ما تتسع له الكنيسة من الحجاج والمؤمنين المحليين لأخذ بركات القديسة العظيمة.

كونها وُلدت لعائلة من الأثرياء وكانت مخطوبة لرجل من النبلاء، لم يكن من السهل أو المقبول أبداً أن تفضل تقلا الموولدة في قونية (في آسيا الصغرى التي هي تركيا حالياً) العفة على الزواج والزهد على النبل. ومع ذلك، وبالرغم من محاولات والدتها المستميتة وخطط خطيبها لإقناعها بتغيير قرارها والحفاظ

كما سيطرتهما وتمسكت بسلاح الصبر على اسم العائلة لم ترضخ قط أبدًا لمحاولاتهما المستمرة لتعليمها القديس بولس في ذلك الحين.

لقاؤها مع القديس بولس

أول صدفة عرّفت قلب الإيمان المسيحي كانت من خلال القديس بولس. وفي تسجيل للقائهما كان عندما عُرض على القديس بولس استضافته في منزل أنيسيفورس (2 تيموثاوس 1:16)، الذي كان يقع بالصدفة بمحاذاة نافذة قلب. وقضت وقتها ثلاثة أيام بلياليها بجوار نافذتها، تستمع إلى عظات بولس التي يمدح بها العذرية، وبأن المكافأة الأبدية تنتظر أولئك الذين يعيشون حياة طاهرة. تلك كانت نقطة التحول في حياة قلب التي جعلتها قلب آخر شوكة في لحم بولس وتترك حياة النبلاء والترف لتتبع القديس بولس في حياة جديدة شك لديها وتتركها أبسط ما يقال عنها أنها قاسية وصعبة.

إيمان قلب قيد التجربة

عندما رأت التأثير الذي طبعه القديس بولس في ابنتها، جمعت ثيوكليا مع (خطيب قلب) مجموعة من ناس المدينة الذين قادوا القديس بولس إلى ثاميريس القاضي المحلي واتهموه بالتأثير على الناس بتعاليم غير طبيعية.

وعندما كان بولس بانتظار محاكمته، تسللت قلب إلى زنزانته بغرض الكمال الاستماع للمزيد من تعاليمه، بعد أن كانت قد رشت حارس زنزانته ببعض المجوهرات. تسببت أفعالها هذه في اشتعال غضب والدتها التي لم تكتف بجَلْد الحاكم على جلد بولس وطردته من المدينة، بل أرادت أن تعطي عبرة لكل امرأة أو فتاة كانت قد لحقت أو استمعت لتعاليم بولس، بأن تضحي بابنتها بأبشع أسلوب ممكن.

أصرت ثيوكليا على احراق ابنتها قلب حية على المأل. فنُقلت قلب إلى مسرح المدينة، وتم تجريدها من ثيابها وربطها بعمود ما ان باشرت المحرقة حولها بالاشتعال حتى أخمدتها بأعجوبة عاصفة بَرَد قوي من السماء، تسببت تلك العاصفة بالمقابل بمقتل العديد ممن كانوا يشاهدون الحدث. بعدها مباشرة هربت قلب من مسرح احراقها وبدأت في البحث عن القديس بولس.

على الطريق مع القديس بولس

بعد ستة أيام من نجاتها، تمكنت قلب من العثور على القديس بولس وتبعته. وعلى الرغم من تحذيراته العديدة بأنها ستواجه محنة أخرى أسوأ من الأولى، إلا أن قلب بقيت ثابتة على قرارها واستمرت في اتباعه. طلبت من بولس بأن يعمدها لتتمكن من مقاومة التجربة والثبات بالتحمل، لكن القديس بولس طلب منها التحلي بالصّبر.

بينما كانا في انطاكيا (أعمال الرسل 14:21)، أرادت السماوات اختبار قلب مرة

أخرى. هذه المرة عبر كاهن رفيع المقام يدعى ألكساندر، الذي سلب جمال تقى عقله وأرداها لنفسه، فما كان من تقى الا أن تقاومه وتمزق ثيابه لتبعده عنها فقام الألخير بالحكم عليها بأن تنهش جسدها الوحوش الضارية.

في فترة انتظار عقوبتها، سُمح لتقى بالبقاء مع الملكة القوية أنطونيا تريفينا ذات النفوذ والسيطرة، والتي هي من أقارب قيصر. وبالرغم من أن الوقت الذي قضته الملكة مع تقى كان قصيراً ً، إلا أنه كان كافٍ كي تنال تقى بإعجاب الملكة.

ندما وصل يوم الإعدام، رُبطت تقى بلبؤة شرسة وطافوا بها في المدينة، ثم تم تجريدها من ملابسها وإلقاؤها للوحوش. أسود وثيران وفقمات شرسة وحيوانات عدوانية على أشكالها كانت تضور جوعاً ً وعلى أهبة الاستعداد لتناولها وجبة سهلة، ولكن تقى كانت تنجو من كل واحدة منها بأعجوبة في كل مرة. وايات تذكر أن لبؤة قامت بحماية تقى وحاربت المعتدين عليها من ذكور الأسود. تبعتها سلسة من المعجزات عملت على حماية القديسة العفيفة انتهت بتدخل نساء المدينة والملكة تريفينا بنفسها.

بعد أن أفرج عن تقى، مكثت لمدة ثمانية أيام مع الملكة تريفينا. ويعتقد أنها خلال ذلك الوقت تمكنت من تحويل الأسرة بأكملها إلى المسيحية.

ختم المسيح، عماد تقى

وفقاً ً للفصل التاسع من سفر أعمال بولس وتقى* ‘ذكر أنه بينما كانت تقى في الساحة محاطة بالحيوانات المفترسة، رأت حوضاً ً من الماء يحوي فقمات/عجول البحر، وأنها اعتقدت أنها قد تكون فرصتها الأخيرة لتعتمد، قفزت في الوعاء وأعلنت أنها تعمد نفسها. وفي ذلك الوقت، برق من السماء ضرب جميع الفقمات قبل أن تقترب من تقى لتأكلها.

سنواتها الأخيرة

حال عودتها إلى قونية علمت أن ثامريس قد مات، بينما ما زال قلب والدتها بنفس طقوس القوسة تجاهها وبقيت صماء عن رسالة ابنتها. بعدها قررت تقى مغادرة مسقط رأسها واتجهت إلى سلوقية حيث عاشت داخل كهف لمدة 72 عاماً ً، تخدم وتعيش كراهبة ان اسكة وتجري علاجات معجزة. الأمر الذي بعث الاستياء والغيرة منها لدى طبيب المنطقة، عندما بدأ سكان القرية باللجوء إليها عوضاً ً عن التوجه له. ادر على ذلك، استأجر الطبيب مجموعة من الرجال بغرض اغتصابها. عند سماعها بالنبأ، هربت تقى وذهبت إلى صخرة فُتحت لها بأعجوبة فدخلتها وأُغلقت الصخرة من بعدها، ومن وقتها لم تُرَ تقى مرة أخرى.

هناك عدد من الأضرحة المتفرقة في أنحاء من العالم مرتبطة بحياة ومعجزات القديسة تقى، وهي تشكل عوامل جذب سياحي للحجاج من جميع أنحاء العالم. اثنان منها يعدان من أكثر الأماكن قدسية: الأول هو ضريح القديسة تقى في

سيليفكي/تركيا والثاني قبر القديسة تقلا في معلولا/سوريا. أما الثالث
في مينا سيس القديسة تقلا بالقرب من لارنكا، ومزار القديس مينا س في
مُوَفَّ الآخرين: دير القديسة تقلا في رومية، وسرداب الموتى للقديسة تقلا في
قبرص.

* تعد الكنيسة كتاب ‘أعمال بولس وتقلا’ كتاباً غير رسمي، بمعنى أنه لا يدرج
بنفس قيمة ومصداقية الكتاب المقدس (الإنجيل) بعهديه القديم والجديد. لذا
فإن قاموس أكسفورد للكنيسة المسيحية الذي حرره ف. ل. كروس يشير بأنه
“على الرغم من أن هذه الأعمال تحتوي على نواة من التاريخ الحقيقي، إلا أنه لا يزال
من الصعب فصل الحقيقة عن الأسطورة“.
